



## تجربتي الفلسفية

د. حسام مهدي الدين الألوسي

مفكر وكتّابي من العراق



د. حسام مهدي الدين الألوسي

بمبحث المعرفة أو بالأحرى العلم الإلهي ولا شأن له إطلاقاً بمبحث الوجود... الخ وإن اختياره لمصطلح فلسفي كفكرة الزمان وتبعه لدى عشرات من المفكرين الإسلاميين لا يدل على جهد وتمكن فحسب، بل أنه صمغ من الدراسات عرفناها في الفكر الغربي، نحن في أمس الحاجة إليها في فكرنا العربي حتى نصل إلى مستوى من البحث إلى ما وصل إليه الأوربيون) أحمد محمود صبحي (تجاهات الفلسفة الإسلامية في الوطن العربي ١٩٦٠ - ١٩٨٠) بحوث المؤتمر الفلسفي الأول المنعقد في الأردن ضمن كتاب الفلسفة في الوطن العربي المعاصر.

كتاب الزمان، كتاب يقوم على أساس الفكرة وليس التاريخ، وعموماً كل كتبي ليست تاريخاً للفلسفة وبعضها مثل كتاب "من الميتولوجيا إلى الفلسفة" وكتاب "الفلسفة اليونانية قبل أرسطو" فيها تاريخ ولكن ليس للتاريخ بل للوصول إلى أهداف آخر كما شرحت سابقاً عن كتابي من الميتولوجيا، أقول كتاب الزمان كتاب نموذجي يتابع فكرة الزمان في تطورها منذ الفكر البدائي ثم مدارسها في الفكر اليوناني والإسلامي مع عناية بإظهار فكرة الزمان في القرآن بحسب منهج في قراءة النص أوضحت بعض معالمه سابقاً وسيوضح أكثر بعد سطور.

خلال التسعينيات ومن خلال المنتديات المجمع العلمي العراقي وبيت الحكمة ومنتدى الرواد، قدمت عدة دراسات عن التراث العربي عن العقل العربي الكلاسيكي، عن تجليات هذا العقل وفاعليته من جهة، وعن تكوين عقلانية صلبة ضد التنوع والاجتهاد لاحقاً، وذلك في بحوث عديدة تتعلق بطبيعة العقل العربي: ما اشكالية العقل العربي؟ ما طبيعة المنتوج الفلسفي العربي الإسلامي القديم وما إنجازاته؟ مثل بحث اشكالية الكلام العربي أو بحث نماذج وصور من العقل والعقلانية للعقل العربي وطوره في بحث طويل بعد سنة ٢٠٠٠ بدعوة من مؤسسة شومان الأردن بعنوان (الابداع في العقل العربي)، وبحثان عن الاستشراق، أحدهما في مسلسل الاستشراق في افق عربية والأخر في محور الاستشراق في المجمع العلمي للمجمع وبحث مستقبل العقلانية في المؤتمر الفلسفي في عمان ١٩٩٥، وهذه كلها ترسم منهجنا والنظرة إلى التراث والمعاصرة وهما بالتأكيد لا تريا عن الحاضر ومعطياته بدلاً.

٧- عنايتي بفلسفة العلم، كتابنا المخطوط "في الفلسفة العلمية وكتابنا في التطور" بجزئين، والبحوث المنشورة مثل "نظرية التطور في إطاره التاريخي والنقدي" مجلة كلية الآداب الكويت وبحث "عالم يتغير"، في مجلة الديب المعاصر عدد (٢١) لسنة ١٩٨٦، وبحث (الآثار الاجتماعية لنظرية التطور) في الديب المعاصر عدد ٢٩، و(الزمان في فلسفة العلم)، العدد (١) من مجلة الرواد العراقية، ومحاورة في نادي الرواد ١٩٩٦ عن (المكان في فلسفة العلم) وكما ننوه بالفصل المهم عن الفلسفة أمام العلم في كتابنا (الفلسفة والإنسان) وبحثنا (الفلسفة والعلم تكامل لا تضاد)، وكذلك حضور مستوى العلوم في دراستي لكل عصر أو فيلسوف أو مذهب عرضته.

٨- المنهج والقواعد التي أراها للفيلسوف والدراسة الفلسفية كما لاحظت على نفسي، وكما شخص ذلك أيضاً الدكتور أحمد عبد الحليم في الموضوع الذي كتبه بعنوان (حسام الدين الألوسي المنهج والرؤية) ضمن الملف الذي قدمته أوراق فلسفية عني في العدد التاسع، الذي يصدر عادة متضمناً ملفات عن مفكرين وفلاسفة عرب وغربيين، وفي هذا العدد جمعت أوراق فلسفية ثلاث ملفات عن أركون وعني وعن هيدجر.

يقول الدكتور أحمد: "لقد انشغل الألوسي بالمنهج الفلسفي سنوات طويلة وفي دراسات متعددة وكتب عنه كثيراً ونحن نرى أن هذا الانشغال ناتج عنده ليس من أفكار أولية جاهزة، بل نتيجة ممارسة عملية للفلسفة ذاتها" ص ١٧١، أوراق فلسفية عدد ١٩١ لسنة ٢٠٠٤.

ليس بالإمكان الآن توضيح كيف ومتى ظهر وتطور المنهج عندي بما سميت لاحقاً بالمنهج التاريخي الجدلي التكاملي وبيدوان ملامحه فحسب إلى حد ١٩٦١ حيث كنت طالباً للدكتوراه في كمبريدج في محاضرتي بمؤتمر الخريجين، حيث أوضحت موقفي من النص (الديني وغير الديني) وكما سأوضح لاحقاً عند ذكر أهم القواعد التي أراها

للاختصار أشير إلى جملة نقاط لرسم عناصر منهجي بما يأتي، ولا تحتاج الإشارة إلى أمثلة فقد سبقتها إشارات إلى المنهج أو أجزاء منه فيما تقدم من عرض للكتب والبحوث:

- ١- دراسة المعلومة بحسب منهجية تقوم على ربطها بأي نص وفيلسوف مدروس بالأساس الاجتماعي والمطروح العلمي، والتراكم العربي، على أساس دوائر تضيق أووسعها.
- ٢- ملاحظة طابع العلاقات المتبادلة بين الطبقات والاسس التحتية، على أساس المراحل البشرية الكبرى في مرحلة المشاعية والعبودية فالإقطاع فالرأسمالية والاشتراكية وهي مراحل تاريخية حقيقية، بغض النظر عن التنظيرات حولها، معها أو ضدها
- ٣- مستوى تطور العلوم
- ٤- التراكم الفكري والفلسفي.
- ٥- الخصائص الوطنية والقومية للمجتمع وأثرها في المدروس أو النص.

- ٦- الخصائص الفردية للمدروس وهو ما أكد عليه كورنفورث على وجه الخصوص، إضافة إلى الاشتراطات في المنهج الماركسي.
- ٧- ينبغي الالتفات إلى الكل أوالبسنية عند دراسة الجزء أو النظرية



للشخص أو النص.

- ٢- الحذر من التعامل التجزيئي، سواء بتجزئة النص على صمغ ويل للمصلين أم بعدم الالتفات إلى كل جوانب المدروس وتطوره العلمي والفكري وسياق إنتاجه.

- ٤- الابتعاد عن الأسلوب الانتقائي من التراث المدروس أو الفكر المدروس والمقصود هنا ليس الفيلسوف الواحد بل المنظورات الفلسفية السائدة في زمان ما ومكان ما، مثال على ذلك أنه في فهم تراثنا لا يجوز استبعاد ابن سينا والغزالي بحجة أنهما غنوصيان بحسب مدعى المستبعد، والابقاء على المعتزلة وابن رشد، إذ لا يمكن فهم الآخرين بمثل هذا الاقتطاع والاعدام، وما أوضحناه عن الاتصال في الردود والطروح بسين الغزالي وفلاسفتنا قبله ومع المتكلمين وابن رشد ورجوعاً إلى يحيى النحوي ويردبروكلس إلى أرسطو وهو خير مثال، وقد أشرنا فيما تقدم إلى بحث زكي نجيب محمود ومحمد عماره ومحمد عابد الجابري وآخرين يفعلون ذلك.

- ٥- الأكابر من عقلانية وعلمية السلف لا تعني جعلهم بدلاً من الحاضر فيما عدا الاقتداء، إذ الفلسفة التي تفيدنا هي التي تكون من خلال العصر الذي تعيشه البشرية اليوم وليس من خلال علم الماضي وفلسفته.

- ٦- الجدلية وهذا واضح في سياقات نظرنا إلى تراثنا الفلسفي الفكري، إذ قلنا أن العقلانية الفلسفية العربية القديمة لاهوتية وذات بنية مغلقة صعب اختراقها، ومع ذلك سجلنا لتلك العقلانية وللعقل العربي آنذاك فاعلية مشهورة في (١٤) ميداناً وحقلًا في المناهج والعلوم التطبيقية وفي دراسة النص وفي عمق الموارد وفي استخدام العقل في الفقه والكلام فضلاً عن الفلسفة... الخ.

- ٧- التكاملية وبعض عناصرها الاستعانة بكل العلوم، وحتى بآراء الخصوم وبكل العروض حول المشكلة أو التواصل والتعدد أي الحضور الكامل للمعلومة أو المفكر أو الفكر وما حوله وقبله وبعده أو معه، وليس خبط عشواء بل ضمن خطة وبصورة للوصول إلى الغرض أو الإفصاح عن الرأي المنشود أو المراد.

- ٨- التواصل: ضد الشوفينية مثل الكذب المعجزة اليونانية أو المغالاة في عقلنة الفلاسفة اليونان

٦- دورنا في مجال الفكر الفلسفي العربي والإسلامي: هذا هو ميداني الخاص والتخصصي وقد سبق أن بسنت خصائصه وأهميته وما قدمته من نتائج جديدة في أطروحتي، ثم تلاها كتاب "حوار بين الفلاسفة والمتكلمين وكتاب" الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم" وكتاب "دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي" وكل هذه صدرت بين عامي ١٩٦٧ - ١٩٨٠، واعدت طبعتها مرتين وثلاث مرات وكتابنا: "فلسفة الكندي وأراء القدامى والمحدثين" ١٩٨٥.

سبقت الإشارة إلى منجزات كتاب حوار، أما بالنسبة لكتاب دراسات فهو مجموعة بحوث، وكل منها يفتح نتائج جديدة ويؤشر مسارات ويصحح أحكاماً يصح ذلك على بحثنا فيه عن الغزالي مشكلة وحل، وبحثنا نظرية الفيض للفارابي بمنظور معاصر نقدي، وكذلك على بحثنا فيه عن تقسيم العلوم ونشأة الفكر العربي الإسلامي. واستميت القارئ إذا أحجمت عن تقديم ولو نبذة قصيرة عن نتائج هذه البحوث فهي معروفة عند المثقف، فضلاً الطالب للفلسفة، وأعجبني بحث عني في بيت الحكمة وصاحبه مهندس ولكنه محب للفلسفة، فقد كتب بحثاً ضافياً في منتدى بيت الحكمة بعنوان "فيلسوف العقلانية في زمن اللاعقلانية" أعجبني لأنه أشر المفزى العميق من وراء هذا الكتاب وأوضحه بقوله: إن الألوسي في هذا الكتاب يشعر القارئ بالصدمة: صدمة من مثل أسئلة يطرحها الكتاب: كيف يوجد شيء من عدم؟ كيف يخرج المادي من اللامادي؟ كيف يوجد الشر من الخير؟ كيف توجد الكثرة من الوحدة؟ كيف يرتبط الزماني باللاماني؟ كيف إن المسائل التي يأخذها الإنسان العادي كأمر مسلم به تصبح مشكلة عويصة تختلف فيها العقول لحد التقاطع؟ كيف إن مسلمات قبلها الدارسون تصبح في مهب الريح من مثل أن الغزالي الذي يكفر الفلاسفة في مسائل ثلاث هو نفسه يقول بها ولكن لا في نفس الخطاب ولا نفس الكتاب ولا لنفس المخاطبين؟ كذلك اتهام المعتزلة بأنهم يضمرون قدم العالم لقولهم بأن الموجودات قبل وجودها أي المعدومات لها سائر الصفات التي للموجود، وهذا يجر إلى اتهامهم بالقول بقدم المادة وأنهم غير مخلصين للتوحيد إلى آخره، وهذا ما أوضحناه سابقاً.

كتاب "الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم" في المؤتمر الفلسفي العربي الثالث قال عنه أحمد محمود صبحي، وهو يتكلم عن مدرسة بغداد الفلسفية في شخصي وشخص كامل الشيبني "أما د. حسام الدين الألوسي فأصدر فيه الدراسات المتأنية العميقة وفي موضوعات غامضة دقيقة، إن بمحت عن شيئية المعلوم قد وصل فيه إلى نتائج خالف فيها من سبقه إلى دراسة هذا الموضوع وحقق أنه موضوع يتعلق